المحاضرة 09 : تقنية المقابلة (Interview) د. عيدون الحامدي

تُعدّ المقابلة إحدى أهم أدوات جمع البيانات في البحث العلمي، نظرًا لكونها تقوم على تفاعل إنساني منظم بين الباحث والمبحوث، يهدف إلى جمع معلومات دقيقة، عميقة، ومركّبة حول موضوع معين التي تعجز الاستبانة عن سبرها. فالمقابلة لا تكتفي بتسجيل الإجابات الظاهرة، بل تسعى إلى النفاذ إلى المعاني الكامنة والدوافع الداخلية التي تقف خلف السلوك الاجتماعي أو السياسي. ولهذا السبب، تُستخدم المقابلة عندما يكون هدف البحث هو الفهم والتفسير، وليس مجرد القياس الكمي.

ويمكن القول إن الفرق الجوهري بين المقابلة والاستبيان يتمثل في أن الاستبيان يقيس **ما يُقال**، بينما تسعى المقابلة إلى فهم **لماذا يُقال هذا الكلام**، وكيف يفكر الأفراد، وما السياق الذي تتشكل فيه آراؤهم ومواقفهم.

أولًا: التعريف العلمي للمقابلة

تعرّف المقابلة على أنها **تبادل تفاعلي منظم بين شخصين أو أكثر، يهدف إلى توليد معرفة علمية من خلال حوار موجه وهادف**، يخضع لإطار منهجي واضح (في اطار استمارة المقابلة) . ويبرز هذا التعريف الطابع التفاعلي للمقابلة، حيث لا يكون المبحوث مجرد مصدر بيانات سلبي، بل شريكًا في إنتاج المعرفة.

كما تعرّف المقابلة بوصفها **أداة بحث نوعية تُستخدم للحصول على بيانات وصفية غنية عبر الحوار المباشر**، بما يسمح للباحث باستكشاف تجارب المبحوثين، وفهم المعاني الذاتية التي يضفونها على أفعالهم وخبراتهم. ويؤكد هذا التعريف على أن المقابلة أداة مناسبة للدراسات التفسيرية والبنيوية والظاهراتية.

ثانيًا: أهداف المقابلة في البحث العلمي

تهدف المقابلة أساسًا إلى استكشاف الظواهر الغامضة أو المعقدة التي لا يمكن فهمها من خلال الأدوات الكمية وحدها، مثل تصورات الأفراد حول القضايا السياسية أو الاجتماعية. كما تُستخدم للتحقق من نتائج أدوات أخرى، كأن يلجأ الباحث إلى المقابلة لتفسير نتائج استبيان أظهرت اتجاهات غير متوقعة. إضافة إلى ذلك، تسمح المقابلة بجمع شهادات نوعية حول التجارب السياسية، والمواقف، والقرارات الفردية والجماعية، فضلًا عن دورها في فهم الديناميكيات العميقة للعلاقات الاجتماعية والسياسية، مثل علاقة المواطن بالسلطة، أو علاقة الإعلام بالرأي العام.

ثالثًا: مراحل المقابلة العلمية

تمر المقابلة العلمية بعدة مراحل أساسية، تُنظَّم عادة في ثلاث مراحل كبرى مترابطة، ويؤدي الإخلال بأي مرحلة منها إلى إضعاف القيمة العلمية للبيانات المتحصَّل عليها. تمر المقابلة العلمية بثلاث مراحل رئيسية مترابطة، تبدأ بمرحلة **الإعداد، ثم التنفيذ**، وتنتهي **بالتفريغ والتحليل**.

.1مرحلة الإعداد(Preparation Stage)

أ. **تحديد الهدف العلمي للمقابلة:**

يبدأ الباحث بتحديد الهدف الدقيق من إجراء المقابلة، أي ما الذي يريد الوصول إليه من خلالها، وهل يسعى إلى تفسير ظاهرة، أو تعميق فهم نتائج أداة أخرى مثل الاستبيان، أو استكشاف معانٍ وتجارب ذاتية. وضوح الهدف يسمح بتوجيه الحوار وعدم تحوله إلى نقاش عام غير منهجي.

ب. **اختيارنوع المقابلة المناسب:**

يقوم الباحث بتحديد نوع المقابلة وفق طبيعة البحث، فقد تكون مقابلة موجهة بأسئلة محددة سلفًا، أو شبه موجهة تجمع بين الأسئلة المفتوحة والمحاور العامة، أو غير موجهة تُستخدم في البحوث الاستكشافية العميقة. هذا الاختيار يؤثر مباشرة على مستوى الحرية الممنوحة للمبحوث.

ت. **إعداد دليل المقابلة:(Interview Guide)**

يُعد دليل المقابلة أداة تنظيمية أساسية، يتضمن مجموعة من الأسئلة أو المحاور المرتبطة بإشكالية البحث وفرضياته، دون أن يكون نصًا جامدًا يُقرأ حرفيًا. ويُفترض أن تكون الأسئلة واضحة، غير موجهة، ومتدرجة من العام إلى الخاص.

ث. **اختيارالمبحوثين بدقة:**

يحرص الباحث على اختيار أشخاص يمتلكون خبرة أو معرفة أو تجربة مباشرة بموضوع البحث، مثل خبراء، فاعلين سياسيين، منتخبين، أو مواطنين معنيين بالظاهرة المدروسة. فالقيمة العلمية للمقابلة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بملاءمة المبحوثين.

2مرحلة تنفيذ المقابلة(Conducting the Interview)

أ. **تهيئة مناخ الثقة والاحترام:**

قبل الشروع في طرح الأسئلة، يعمل الباحث على خلق جو نفسي مريح، قائم على الاحترام المتبادل، لأن الثقة شرط أساسي للحصول على إجابات صادقة وغير متحفظة، خاصة في القضايا السياسية أو الحساسة.

ب. **تقديم الباحث لنفسه وشرح الهدف العلمي:**

يُعرّف الباحث بنفسه وصفته الأكاديمية، ويشرح الغرض العلمي للمقابلة، مع التأكيد على سرية المعلومات وعدم استخدامها خارج الإطار البحثي، مما يطمئن المبحوث ويشجعه على التعبير الحر.

ت. **إدارة الحواربمرونة منهجية:**

يقوم الباحث بطرح الأسئلة بطريقة تسمح للمبحوث بالتوسع في الإجابة، مع استخدام أسئلة متابعة عند الحاجة، دون مقاطعة أو توجيه الإجابات. وهنا تظهر مهارة الباحث في الموازنة بين ضبط الحوار وتركه يتطور طبيعيًا.

ث. **تسجيل المقابلة وتدوين الملاحظات:**

يُفضَّل تسجيل المقابلة صوتيًا بعد الحصول على موافقة صريحة من المبحوث، مع تدوين ملاحظات جانبية تتعلق بنبرة الصوت أو لغة الجسد أو التردد، لأنها تحمل دلالات تحليلية مهمة لا تظهر في النص المكتوب.

.3مرحلة التفريغ والتحليل(Transcription and Analysis)

أ. **تفريغ المقابلة إلى نص مكتوب:**

بعد الانتهاء من المقابلة، يقوم الباحث بتحويل التسجيل الصوتي إلى نص مكتوب بدقة، مع الحفاظ على المعاني الأصلية للإجابات، لأن أي اختزال أو إعادة صياغة غير دقيقة قد يؤدي إلى تشويه المعطيات.

ب. **القراءة المتكررة للنصوص:**

يعمد الباحث إلى قراءة نصوص المقابلات عدة مرات قصد التعرف على الأفكار المتكررة، والاتجاهات العامة، والتناقضات المحتملة، وهي خطوة أساسية لفهم العمق الدلالي للخطاب.

ت. **الترميز:(Coding)**

يتم في هذه المرحلة تصنيف العبارات والأفكار ضمن رموز أو مفاهيم أولية، تُستخرج مباشرة من كلام المبحوثين، وليس من تصورات الباحث المسبقة، حفاظًا على الطابع الاستقرائي للتحليل النوعي.

ث. **بناء الفئات التحليلية:(Themes)**

يقوم الباحث بتجميع الرموز المتقاربة في فئات تحليلية كبرى تمثل المحاور الأساسية للنتائج، مثل الثقة، المشاركة، الإقصاء، أو الشرعية السياسية، مما يسمح بربط المعطيات بإشكالية البحث وإطاره النظري.

رابعًا: الصدق والثبات في المقابلة

يُعدّ الصدق والثبات من القضايا المنهجية الأساسية في استخدام المقابلة. فالصدق الداخلي يتعلق بمدى تمثيل المعلومات التي يقدمها المبحوث لرأيه الحقيقي، ويمكن التحقق منه عبر مقارنة الإجابات داخليًا، أو بمصادر أخرى. أما الثبات، فيشير إلى إمكانية الحصول على نتائج متقاربة عند إعادة المقابلة في ظروف مشابهة، ويُعزّز ذلك باستخدام دليل أسئلة موحد مع عدة مشاركين. في حين ترتبط الموضوعية بمدى حياد الباحث، وهو ما يتطلب تجنب الأسئلة الموجهة، وضبط التأثير الشخصي أثناء الحوار.

خامسًا: المقابلة وعلاقتها بالمناهج العلمية

تتكيّف المقابلة مع مختلف المناهج العلمية؛ ففي المنهج الوصفي تُستخدم لوصف الواقع السياسي والاجتماعي، وفي المنهج المقارن تُوظف لمقارنة مواقف مجموعات مختلفة، مثل الطلبة والسياسيين. أما في المنهج التاريخي، فتُستخدم المقابلة لاستحضار شهادات من الماضي السياسي، بينما تظهر تطبيقات حديثة لها في المنهج التجريبي، خاصة في العلوم العصبية والسيكولوجية، من خلال دراسة استجابات الدماغ أثناء الحوار السياسي فيما يُعرف بالمقابلات العصبية السياسية.

سادسًا: مزايا وقيود المقابلة

تتميز المقابلة بقدرتها على تقديم بيانات ذات عمق وجودة عالية، وتمكين الباحث من فهم المشاعر والدوافع والسياقات التي تشكل السلوك الإنساني، فضلًا عن مرونتها التي تسمح بالتوسع في الإجابات. غير أن هذه المزايا تقابلها بعض القيود، مثل كون المقابلة تتطلب وقتًا وجهدًا كبيرين، وإمكانية تأثر المبحوث بحضور الباحث، إضافة إلى صعوبة تحويل بياناتها إلى أرقام قابلة للتحليل الإحصائي الدقيق.

أ. مزايا المقابلة

1. **العمق النوعي للبيانات المتحصَّل عليها:**

تُعد المقابلة من أغنى أدوات البحث العلمي من حيث جودة المعطيات، لأنها تتيح للباحث النفاذ إلى المعاني الكامنة وراء المواقف والسلوكيات، وليس الاكتفاء برصد الإجابات السطحية. فالمبحوث لا يجيب فقط بـ"نعم" أو "لا"، بل يشرح، يبرر، ويكشف عن خلفيات فكرية ونفسية وسياسية لا يمكن الوصول إليها عبر الاستبيان.

2. **فهم الدوافع والتجارب الذاتية:**

تمكّن المقابلة الباحث من فهم الكيفية التي يُدرك بها الأفراد الواقع السياسي أو الاجتماعي، وكيف يُفسّرون تجاربهم الخاصة، مثل الإحساس بالتهميش، أو فقدان الثقة، أو المشاركة السياسية. وهذا الفهم الذاتي يُعدّ جوهريًا في الدراسات التفسيرية.

3. **المرونة المنهجية أثناء جمع البيانات:**

تتميّز المقابلة بمرونة عالية تسمح للباحث بتعديل مسار الحوار، أو تعميق بعض الأسئلة، أو استكشاف أفكار جديدة تظهر أثناء المقابلة، دون الخروج عن الإطار العلمي للبحث. وهذه المرونة تمنح البحث ثراءً تحليليًا لا توفره الأدوات الصارمة.

4. **القدرة على تفسير نتائج أدوات أخرى:**

تُستخدم المقابلة كثيرًا لتفسير نتائج الاستبيانات أو الملاحظات الميدانية، خاصة عندما تكون النتائج غامضة أو متناقضة. فهي تسمح بفهم "لماذا" جاءت النتائج على هذا النحو، وليس فقط "ماذا" أظهرت.

ب. عيوب المقابلة وحدودها المنهجية

1. **استهلاك الوقت والجهد:**

تتطلب المقابلة وقتًا طويلًا في الإعداد والتنفيذ والتفريغ والتحليل، خاصة إذا كان عدد المبحوثين كبيرًا، مما يجعلها أقل ملاءمة للبحوث ذات الإطار الزمني الضيق.

2. **صعوبة التعميم الإحصائي للنتائج:**

نظرًا لاعتماد المقابلة غالبًا على عينات صغيرة وغير ممثِّلة إحصائيًا، فإن نتائجها لا تُعمَّم بالمعنى الكمي، بل تُفهم في إطارها التفسيري والسياقي، وهو ما قد يُعدّ محدودية في بعض الدراسات.

3. **تأثر النتائج بشخصية الباحث:**

قد تؤثر طريقة طرح الأسئلة، أو نبرة الصوت، أو حتى لغة الجسد الخاصة بالباحث على إجابات المبحوث، مما يخلق نوعًا من التحيز غير المقصود، خاصة في القضايا السياسية الحساسة.

4. **تعقيد تحليل البيانات:**

تُنتج المقابلات كمًا كبيرًا من البيانات النصية التي يصعب تحليلها إحصائيًا، وتتطلب مهارات تحليل نوعي متقدمة، إضافة إلى استخدام برمجيات مثل NVivo أو ATLAS.ti في بعض الحالات.

ت. المحاذير المنهجية والأخلاقية في استخدام المقابلة

1. **تجنب الأسئلة الموجِّهة أو الإيحائية:**

يجب على الباحث الحذر من صياغة أسئلة تحمل ضمنًا رأيًا أو موقفًا مسبقًا، لأن ذلك قد يدفع المبحوث إلى تبني إجابة معينة بدل التعبير الحر عن رأيه الحقيقي، مما يُفقد المقابلة صدقها العلمي.

2. **الحفاظ على الحياد والموضوعية:**

ينبغي على الباحث أن يضبط مواقفه الشخصية وقناعاته الإيديولوجية أثناء المقابلة، وألا يُظهر الموافقة أو الرفض لإجابات المبحوث، حتى لا يؤثر على مسار الحوار أو يُربك المبحوث.

3. **احترام أخلاقيات البحث العلمي:**

يتعيّن الحصول على موافقة المبحوث قبل تسجيل المقابلة، وضمان سرية المعلومات، وعدم استخدام المعطيات إلا لأغراض علمية. ويُعدّ هذا الالتزام شرطًا أساسيًا لمشروعية البحث.

4. **الانتباه إلى السياق السياسي والاجتماعي:**

في الدراسات السياسية خاصة، قد تشكل بعض الأسئلة خطرًا أو حرجًا للمبحوث، لذلك يجب على الباحث مراعاة السياق العام، وتجنّب تعريض المشاركين لأي تبعات قانونية أو اجتماعية.

5. **التمييز بين التفسير العلمي والرأي الشخصي:**

أثناء التحليل، يجب ألا يخلط الباحث بين ما قاله المبحوثون فعلًا وبين تفسيراته الخاصة، بل عليه أن يُبرز المعطيات كما هي، ثم يربطها بالإطار النظري والمنهجي بشكل واضح ومعلن.

لا يُقصد بتحليل الخطاب مجرد دراسة الكلمات أو الأساليب اللغوية في حدّ ذاتها، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة الكيفية التي تُنتج بها اللغة المعنى، وتُشكّل الواقع، وتُعيد توزيع السلطة داخل المجتمع. فالخطاب ليس أداة تواصل محايدة، وإنما هو ممارسة اجتماعية وسياسية تُسهم في بناء التصورات، وتوجيه السلوك، وترسيخ أنماط الهيمنة أو مقاومتها. وعليه، فإن الخطاب يُفهم بوصفه نظامًا من الأفكار والقيم والمعاني التي تحدد ما يمكن قوله، ومن يملك حق القول، وفي أي سياق.

وفي هذا الإطار، يؤكد الباحثون أن الخطاب لا يقتصر على ما يُقال ظاهرًا، بل يشمل الشروط التي تجعل القول ممكنًا أصلًا، أي شبكة السلطة والمعرفة التي تُنتج الخطاب وتمنحه شرعيته. ومن هنا يصبح تحليل الخطاب أداة مركزية لفهم السياسة بوصفها صراعًا لغويًا ورمزيًا بقدر ما هي صراع مادي.

ثانيًا: تعريفات أساسية لتحليل الخطاب

يعرّف الخطاب باعتباره منظومة من المعاني والقواعد التي تحدد حدود الممكن والممنوع في القول داخل سياق تاريخي معين، حيث لا تكون اللغة انعكاسًا بريئًا للواقع، بل جزءًا من آليات إنتاجه وضبطه. فالخطاب، وفق هذا التصور، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسلطة والمعرفة، ويُسهم في تشكيل "نظام الحقيقة" داخل المجتمع.

أن الخطاب علاقة جدلية بين اللغة والمجتمع؛ فاللغة تُشكّل الواقع الاجتماعي، لكنها في الوقت نفسه نتاج للبنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وبهذا المعنى، فإن تحليل الخطاب لا ينفصل عن تحليل علاقات القوة والإيديولوجيا.

في حين يقدّم فان ديك تصورًا معرفيًا اجتماعيًا للخطاب، معتبرًا إياه بنية لغوية ومعرفية تعكس التمثلات الذهنية للفاعلين الاجتماعيين. فالخطاب، في نظره، يُعبّر عن نماذج ذهنية مشتركة تُوجّه الفهم والتفسير، خاصة في الخطابات السياسية والإعلامية.

ثالثًا: أهداف تحليل الخطاب

يهدف تحليل الخطاب إلى تجاوز المعنى السطحي للنصوص، من أجل كشف المعاني الضمنية والافتراضات الخفية التي تحملها اللغة. كما يسعى إلى فهم الكيفية التي تُبنى بها السلطة والشرعية عبر الخطاب، وكيف تُستخدم اللغة لتبرير القرارات السياسية أو إضفاء الطابع الطبيعي عليها.

ومن بين أهدافه الأساسية أيضًا تفسير الخطابات الإعلامية والسياسية من خلال تفكيك الرسائل غير المعلنة، وتحليل آليات التأطير التي تُستخدم لصناعة الرأي العام وتوجيهه. إضافة إلى ذلك، يهتم تحليل الخطاب بدراسة العلاقة بين اللغة والإيديولوجيا والهوية، وكيف تُبنى الهويات الجماعية عبر ثنائيات مثل "نحن/هم" و"الداخل/الخارج."

رابعًا: أنواع تحليل الخطاب

تتعدد مقاربات تحليل الخطاب باختلاف زاوية النظر والمنهج المعتمد. فالتحليل اللغوي البحت يركّز أساسًا على بنية الجمل، واختيار المفردات، والنبرة والأسلوب، ويُستخدم غالبًا في الدراسات اللسانية والتواصلية. في المقابل، يركّز التحليل النقدي للخطاب على كشف علاقات القوة والإيديولوجيا المضمرة في اللغة، وهو الأكثر حضورًا في العلوم السياسية والاجتماعية والإعلامية.

أما التحليل السيميائي للخطاب فينصرف إلى دراسة الرموز والصور والإيماءات، خاصة في الخطاب البصري والرقمي، حيث لا تقتصر الدلالة على النص المكتوب. في حين يهتم التحليل النفسي للخطاب بالكشف عن البُعد اللاواعي في اللغة، ويُستخدم في علم النفس السياسي لفهم الخطاب العاطفي والتعبوي.

خامسًا: الخطوات المنهجية لتحليل الخطاب

•اختيار العينة الخطابية:

تبدأ العملية بتحديد corpus الخطاب المراد تحليله، سواء كان خطابًا سياسيًا رسميًا (مثل خطاب رئيس الجمهورية و غيره) ، أو بيانًا حزبيًا، أو منشورًا رقميًا، أو مقابلة إعلامية. ويُشترط في العينة أن تكون مرتبطة مباشرة بإشكالية البحث.

•تحديد السياق:(Context)

لا يمكن تحليل الخطاب بمعزل عن سياقه الزمني والمكاني والسياسي. فخطاب يُلقى بعد انتخابات، أو بعد أزمة سياسية، يختلف دلاليًا ووظيفيًا عن خطاب يُلقى في ظروف عادية، حتى وإن تشابهت مفرداته.

•تحليل اللغة:

يتم التركيز هنا على المفردات المهيمنة، واستخدام الضمائر، والأفعال، والصيغ البلاغية. فالضمائر مثل "نحن" و"هم" تكشف عن بناء الهوية والآخر، بينما تعكس الأفعال دينامية الفعل السياسي والسيطرة.

•تحليل البنية والموضوع:

يشمل هذا المستوى دراسة كيفية بناء الخطاب، من حيث بدايته ونهايته، وتسلسل الحجج، والاعتماد على المنطق أو العاطفة أو التخويف أو الأمل، بهدف التأثير في المتلقي.

•تحليل القوة والإيديولوجيا:

في هذه المرحلة، يسعى الباحث إلى الإجابة عن أسئلة جوهرية: من يتكلم؟ باسم من؟ ولمصلحة أي سلطة أو مشروع؟ وما الذي يُسكت عنه الخطاب أكثر مما يُقال فيه؟

مثال :يُظهر تحليل خطاب الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون حول "الجزائر الجديدة" كيف تُستخدم اللغة لبناء قطيعة رمزية مع الماضي، من خلال عبارات مثل "لن تعود إلى الوراء"، التي تُؤسس لهوية سياسية جديدة قائمة على النفي والإثبات في آن واحد، وتُعيد صياغة الوعي الوطني بلغة السيادة والاستقلال.

وفي خطاب بوتين بعد ضم القرم، يُلاحظ توظيف شحنة رمزية قوية عبر مفردات مثل "الوطن الأم"، مع إسناد الفعل إلى "الشعب" بدل الدولة، وهو ما يُحوّل الفعل السياسي من غزو إلى "عودة شرعية" في المخيال الجماعي الروسي.

أما خطاب أوباما في القاهرة سنة 2009، فيمثل نموذجًا لخطاب المصالحة، حيث تُستخدم مفردات مثل "بداية جديدة" لتخفيف صورة الهيمنة، وبناء خطاب قيمي يسعى إلى استعادة الثقة بعد صدمات سياسية كبرى. على غرار خطابات ترامب في الكثير من المواقف وتركيزه على شعار الإمبريالية الجديدة**"اجعلوا أمريكا عظيمة مجددًا ".**

سادسا :أبرز أدوات حديثة لتحليل الخطاب السياسي

شهد تحليل الخطاب تطورًا كبيرًا بفضل البرمجيات النوعية مثل NVivo و MAXQDAوAtlas.ti، التي تسمح بترميز النصوص وتحليل التكرارات والأنماط الدلالية. كما أتاح الذكاء الاصطناعي إمكانات جديدة لتحليل الخطاب الرقمي، من خلال تتبع النبرة، والكشف عن التحولات الإيديولوجية في خطابات القادة عبر وسائل التواصل الاجتماعي.